طبيعة العلاقة بين اللغة العربية ولغة الأورومو

أ.د. كمال محمد جاه الله الخضر
كلية الألسن / جامعة إفريقيا العالمية – السودان

للّغة العربية بحكم إفريقيتها، وبحكم انتشارها الواسع في قارة إفريقيا، وبحكم ارتباطها بالدين الإسلامي، وبحكم ثراء إرثها وتراثها، علاقةٌ متميزةٌ بعددٍ من اللغات الإفريقية، ولا سيما لغات الشعوب الإسلامية، مثل: (السواحيلية، والهوسا، والماندنقو، والفولانية)، فهي (أي العربية) تتكلمها شعوبٌ وقبائلُ إفريقيةٌ بوصفها اللغة الأمّ، لا لغة ثانية أو أجنبية، ليس ذلك في شمال إفريقيا وحسب، بل في وسطها وغربها وشرقها.

ومن خلال هذه العلاقة المتميزة استطاعت اللغة العربية أن تؤثّر في هذه اللغات تأثيراً واضحاً، فأقرضت العربيةُ كثيراً من ألفاظها لقواميس كثيرٍ من اللغات الإفريقية، وساهمت في نشأة كثيرٍ من الآداب الإفريقية ذات الصبغة الإسلامية، مثل الأدب الهوسوي الإسلامي، كما وهبت حرفها لعددٍ معتبرٍ من اللغات الإفريقية، خصوصاً ذات الأكثرية المتحدثة، كالسواحيلية والهوسا والأورومو، وبذلك نقلتها من لغاتٍ شفاهيةٍ إلى مصافّ اللغات المكتوبة.. إلخ.

الحقّ؛ أنّ علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية يمكن تناولها - على الأقل - من خلال ثلاثة مستويات:

١- علاقة الاشتراك في الأصول: وهذا المستوى يخصّ اللغات التي تشترك مع العربية في الانتماء لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية بأفرعها المختلفة (السامي، والكوشي، والتشادي، والبربري، والمصري القديم، والأومي)[1].

٢- علاقة الاتصال المباشر: وهذا المستوى يعبّر عن وجود متحدثي اللغة العربية واللغة الأخرى في مكانٍ واحد، وجود يسمح بالتأثير اللغويّ الكثيف، كحالة اللغات الدارفورية المختلفة واللغة العربية في إقليم دارفور.

٣- علاقة الاتصال غير المباشر: وهذا المستوى يعبّر عن ذلك الاتصال الذي يتمّ عبر التقاليد الأدبية (كالقصيدة والرواية والمقامة... إلخ)، ولا يشترط وجود متحدثي اللغتين أو اللغات في مكانٍ واحد.

وتختلف مستويات العلاقة بين العربية واللغات الإفريقية من لغةٍ لأخرى، ومن منطقةٍ إفريقيةٍ

(١) يطلق بعض الباحثين على هذا الفرع تسمية: الفرع الأوميتي؛ وهو تعريب للكلمة الإنجليزية Omotic، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه التسمية جاءت نسبة لنهر أومو Omo في إثيوبيا.

هناك صلةٌ عريقةٌ بين شبه جزيرة العرب وإفريقيا، تتمثل في وضوح التشابه، عرقاً، وثقافةً، ولغةً، بين الشعوب المتكلمة لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية بأفرعها المختلفة: السامي، والكوشي..

لأخرى، وهذا أمرٌ بالإمكان التحقّق منه نظريّاً وعمليّاً، لأنّ اللغة العربية ليست على حالةٍ واحدةٍ أو وضعٍ واحدٍ في جميع أنحاء قارة إفريقيا.

أمّا فيما يخصّ علاقة اللغة العربية بلغة الأورومو (تعد الأورومو من لغات إثيوبيا الكبرى، بل من اللغات العشر الأوائل في قائمة اللغات ذات الأكثرية المتحدَّثة في قارة إفريقيا التي تضمّ أكثر من ألفي لغة)؛ فيمكن تناولها في المستويات الثلاثة سابقة الذكر؛ لمعرفة طبيعة هذه العلاقة، وما ترتب عليها.

أولاً: علاقة الاشتراك في الأصول بين اللغة العربية ولغة الأورومو:

هناك صلةٌ عريقةٌ بين شبه جزيرة العرب وإفريقيا، تتمثل في وضوح التشابه، عرقاً، وثقافةً، ولغةً، بين الشعوب المتكلمة لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية بأفرعها المختلفة: السامي، والكوشي، والتشادي، والبربري، والمصري القديم، والأوميّ، التي مرّ ذكرها.

ويزيد هذا التشابه وضوحاً في منطقة القرن الإفريقي، ذي القرب الجغرافيّ بشبه جزيرة العرب، التي تربطها صلاتٌ تاريخيةٌ قديمةٌ بهذا الجزء من إفريقيا قبل الإسلام وبعده، بالإضافة

إلى أنّ منطقة القــرن الإفريقي تُعدّ موطناً مثاليّاً لثلاثة أفرع من أســرة اللغات الإفريقية الآسيوية، وهي:

١- الفرع الســامي، ومن أهم لغاته: الأمهرا، والتجري، والتجرينيا، والعربية.

٢- الفرع الكوشــي، ومن أهم لغاته: الأورومو، والصومالية، والبجاوية.

٣- الفرع الأومي، ومن أهم لغاته: آري Aari، وكارو Karo، ودزي Dizi.

وكما أوضحنا- في عمل سابق[١]- أنّ هناك- على الأرجح- أصلاً سلاليّاً واحداً لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية الآســيوية، بالإضافة إلى الأصل اللغويّ المشــترك الذي أثبتــه اللغويون، فإننا في هذا المقام نضيف إلى ذلك رأي مستشــرقٍ مهمٍّ، هو صاحب مؤلَــف: (اللغات الســامية)، ألا وهو ثيودور نولدكه، حين يقول: «إنّ:... القرابة الكائنة بين اللغتين: السامية والحامية تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الموطن الأصليّ للســاميين كان في إفريقيا، لأنه من النادر أن يظنّ أنّ الحاميين كان لهم موطنٌ أصليٌّ غير القارة السوداء»[٢].

وقد بنى نولدكه رأيه هذا على التشابه الخَلْقيّ بين الحاميّين والســاميّين، وعلى الأخصّ ســكان جنــوب الجزيرة العربية، وقال: إنّ عَظْمة الســاق في الأقوام الســامية هزيلة، تماماً كما هو الحال في سكان إفريقيا الأصليّين، كما يشترك الشعبان في مشــابهة شــعر الرأس للصوف، وكذلك بروز الفكين[٣].

(١) انظر: كمال محمد جاه الله (٢٠٠٨): "الأصل السلالي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية"، دراسات إفريقية، العدد (٣٩)، يونيو، ص ص (١٣٧ - ١٥٥).

(٢) ثيودور نولدكه (١٩٧٧): اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبدالتواب، القاهرة، ص ٢١.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وإذا أردنــا تتبع بعــض التفاصيل ذات الصلة باللغتَيْــن الواردتَيْن بعنوان هذا البحث، وهما اللغة العربية ولغة الأورومــو، من منظور بعض مصنفي اللغــات الإفريقيــة حديثــاً؛ فيمكن اســتعراض الإفادات الآتية:

أولاً: اللغة العربية:

تتبع هذه اللغة للفرع الساميّ أحد أفرع أسرة اللغات الإفريقية الآســيوية، وهــذا الفرع - وفقاً لرمضان عبد التواب - يضمّ[٤]:

١- لغات ســامية شــرقية: وهــي الأكادية؛ بفرعيها البابليّ والآشوري.

٢- لغات ســامية غربية: وتنقســم إلى لغات: غربية شمالية، وغربية جنوبية.

وتضمّ الغربية الشمالية: (الكنعانية، والآرامية)، والأولى تنقســم إلــى: كنعانية شــمالية؛ وتمثلها الأوجارتية، وكنعانية جنوبية؛ وتشمل اللغة العبرية، وكذلك اللغة الفينيقية. والثانية تنقسم إلى: قديمة ووسطى، والوسطى تنقســم إلى شرقية وغربية، ومن أهمّ لهجات الآرامية الشرقية: السريانية.

ويضــمّ القســم الغربي الجنوبي مــن اللغات السامية لغتَيْن، هما: (العربية، والحبشية).

فالعربية: تنقســم إلى قسمين، هما: (العربية الجنوبية، والعربية الشمالية)، فالأولى: تُعرف عند اللغويين باللغة الحميرية، وموطنها اليمن وجنوبي الجزيــرة العربية، ولها لهجتان، هما: (الســبئية، والمعينية).

أما الثانية: فهي لغة وســط الجزيرة العربية وشماليها، وهي تُسمّى: اللغة العربية الفصحى.

أما الحبشــية: فهي لغة ذلك الشعب الساميّ الــذي خرج مــن جنوبــي الجزيــرة العربية إلى

(٤) رمضان عبدالتواب (١٩٩٩): فصول في فقه العربية، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ص ص (٢٥ - ٣٥)، بتصرف.

الحبشة، واستعمروها، واختلطوا بأهلها القدامى من الحاميّين اختلاطاً شديداً، وتسمّت لاحقاً باللغة الجعزية، وأحياناً بالإثيوبية، وفيما بعد تفرقت إلى لهجات؛ أبرزها: الأمهرية.

ثانياً: لغة الأوورومو:

تتبع هذه اللغة للفرع الكوشيّ، أحد أفرع أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية، وهذا الفرع- وفقاً لريتشارد هيوارد Richard J. Hayward - يضمّ[1]:

١ - اللغات الكوشية الشمالية: تضمّ لغة: البجا (البداويت).

٢ - اللغات الكوشية الوسطى: تضمّ لغات: أجاو Agaw، وهي نوعياتٌ لغويةٌ متباينة.

٣ - لغات كوشية المرتفعات الشرقية: تضمّ لغات: السيدامو، والكمباتة، والهدية، ويُستثنى من ذلك: البرجي Burji.

٤ - لغات كوشية المنخفضات الشرقية: وهي تنقسم إلى ثلاث مجموعات داخلية، هي:

أ - المجموعة الشمالية: وتمثلها لغتا: الساهو، والعفر.

ب - المجموعة الأوورومية: وتمثلها لغة: الأوورومو.

ج - مجموعة الأومو- تانا: وتمثلها اللغة الصومالية.

٥ - لغات الدولي Dully: وتمثلها لغة تسامي Tsamay.

٦ - اللغات الكوشية الجنوبية: وتمثلها لغة إراقو Iraqw.

ومن هذا نخلص إلى: أنّ بين اللغة العربية ولغة الأوورومو علاقة رحمية (جينية)، تتمثّل في اشتراكهما في الأصول؛ إذ هما لغتان تنتميان إلى أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية (وهي- في الواقع- لا تساوي ما كان يسمّى باللغات السامية الحامية مساواة التطابق، بل تتشاركان في الغالبية العظمى من تلك اللغات)، لكنهما تختلفان في الأفرع، فالعربية تنتمي إلى (الفرع السامي)، والأوورومو تنتمي إلى (الفرع الكوشي).

ومن الأمثلة التي توضح علاقة الاشتراك في الأصول بين العربية والأوورومو:

- وجود تشابه في بعض العناصر اللغوية: ومن ذلك تشابه اللغتَيْن في بعض ما يُسمّى بالألفاظ الأساسية Basic vocabularies (وهي عدد محدود من الألفاظ لا تلجأ اللغات عموماً لاقتراضها من اللغات الأخرى، ويفترض أن تكون أصيلة في كلّ لغة، ومن ثمّ تعد معياراً لقياس درجة التشابه بين اللغات، ولاستنباط صلة القرابة بينها):

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
أب	aabba/abba/abbi
أرض	ardi
سماء	sami
قلب	galb
فم	(Afaa) n
أنا	anaa
روح	ruhi

- ومن ذلك: شيوع ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغتَيْن: وهي ظاهرة مميزة لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية عن الأسرات اللغوية الأخرى التي صُنّفت لها اللغات الإفريقية (وهي: أسرة اللغات النيلية الصحراوية، وأسرة اللغات النيجر كردفانية، وأسرة اللغات الكويسانية).

ولعل أقرب مثالٍ يعكس لنا شيوع ظاهرة التذكير والتأنيث في لغة الأوورومو قولهم:

(١) Hayward, Richard, J. (2000): «Afroasiatic», in: Heine, B and D, Nurse, African Languages, An Introduction , Cambridge: Cambridge University Press, p.p. (80-81).

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
moti	بمعنى «ملك»
motitti	بمعنى «ملكة»
(deerri) dufe	بمعنى «جاء (الرجال)"
dubartiin) dufte)	بمعنى «جاءت (النساء)"

ثانياً: علاقة الاتصال المباشر بين اللغة العربية ولغة الأورومو:

من المعلوم المسلّم به- تاريخيّاً- أنّ بين الجزيرة العربية والحبشة (إثيوبيا) صلة قديمة؛ بحكم الجوار والتجارة، وخصوصاً مع جنوب الجزيرة العربية، وقد أدى هذا إلى وجود تأثيرٍ متبادلٍ بين المنطقتين في الحياة الاجتماعية، واللغوية، وبعض التقاليد والعادات.

ومما لا شك فيه أنّ هذه الصلة قويت بصورةٍ واضحةٍ بعد ظهور الإسلام، وما تلا ذلك من عصورٍ صاحبها حراكٌ سكانيٌّ- قديمٌ وحديث- من وإلى المنطقتَيْن، وقد ساهم ذلك في بروز علاقة اتصالٍ مباشرٍ بين اللغتَيْن (العربية، والأورومية)، وبين المنطقتَيْن (جزيرة العرب، والحبشة).

ومن تفاصيل ذلك: أنّ العرب في إثيوبيا (في التاريخ الحديث والمعاصر)- كما يحدثنا محمد تاج الرحمن العروسي، في اختصارٍ شديدٍ- معظمهم من اليمن الشمالي والجنوبي، وقد كان عددهم في ازديادٍ مستمرٍ إلى عهد الإمبراطور هيلاسلاسي، وعندما تمّت مضايقتهم- لاحقاً- رحل معظمهم من إثيوبيا وعادوا إلى اليمن، كما ذهب أكثرهم إلى الخليج، وبخاصة المملكة العربية السعودية.

ويضيف العروسيّ: أنّ التجارة كانت في السابق بأيديهم، ولهم جهودٌ طيبةٌ في نشر الدين الإسلامي بجانب الثقافة والتمدّن والحضارة، ومن الملاحظ أنهم كانوا يكثرون الزواج من الإثيوبيات، ولكنهم لا يزوّجون بناتهم للإثيوبيين إلا نادراً، كما أنّ الإثيوبيين لا يتحمّسون للزواج من بناتهم[1].

هذا بالإضافة إلى أنّ هناك قبائل من الحبشة يعود أصلها إلى العرب، لكنهم بطول الزمن نُسي تاريخهم، وإن كانت هناك بعض الملامح التي تدلّ على أصلهم، بينما هناك بعض الأفراد الذين استطاعوا المحافظة على شجرة النسب[2].

أما قديماً؛ فتُحدثنا المصادر التاريخية- فيما يخصّ الإسلام والعروبة في بلاد الحبشة والزيلع (منطقة القرن الإفريقي)- أنّ الإسلام تسرّب إلى تلك البلاد في عهده الأول، تسرباً بطيئاً في ركاب المهاجرين إلى إفريقيا من التجّار والدعاة عبر المسالك البحرية المعهودة، وكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في نموّ المدن الساحلية الزيلعية التي ازدحمت بهؤلاء المسلمين المشتغلين بتجارة الرقيق وغيرها من التجارات، وظهرت في هذا العصر جالياتٌ إسلاميةٌ قويةٌ في: (دهلك، وسواكن، وباضع وزيلغ، وبربرة)، وقد انجلى عن ذلك ازدهار الحياة الإسلامية في تلك المدن، وتوطيد النفوذ الإسلامي على طول السهل الساحلي، وظهرت مدنٌ إسلامية على ذلك الساحل، كأنها العقد أو الطراز، في الفترة بين القرنَيْن العاشر والثالث عشر الميلاديَّيْن[3].

ويبدو أنّ الإسلام نفذ إلى الداخل في وقتٍ مبكر، ربما في القرن الثالث الهجري، حين تطرّق إلى منطقة شوا، حيث قامت سلطنة إسلامية، عملت على توطيد العقيدة الإسلامية في جنوب

(١) محمد تاج الرحمن العروسي (١٩٩٩): تاريخ إثيوبيا، الجزء الأول، إسلام آباد: الحافظ تريدرز، ص ص (١٦٥ - ١٦٦).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٦٦).

(٣) رجب محمد عبدالحليم (١٩٩٧): الإسلام والعروبة في إفريقيا الشرقية، الموسوعة الإفريقية، المجلد الثاني، إعداد: شوقي عطا الله الجمل وآخرين، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مايو، (٢٤٩ - ٣١٠)، ص ص (٢٥٠ - ٢٥١).

الحبشة وشـــرقها، وهي سلطنة شـــوا الإسلامية (٢٥٥هـ - ٦٨٤هـ) (٨٩٦م - ١٢٨٥م)، ظهرت على يد أسرةٍ عربيةٍ تُسمّى ببني مخزوم، وهم مهاجرون عرب، نفـــذوا إلى هذه الجهات فـــي ذلك الوقت المبكر[١].

كما قامت سلطنة أوفات الإسلامية (٦٤٨هـ - ٨٠٥هـ) (١٢٥٠م - ١٤٠٢م)، وقد أسّسها قومٌ من قريش من بني عبد الدار، أو من بني هاشـــم؛ من ولد عقيل بن أبي طالب[٢].

ويـــرى بعـــضُ الكتـــاب أنّ علاقـــة الأوورومو بالإسلام بدأت منذ أن توطدت أركانه في الأجزاء الساحلية لشمال إفريقيا، بين القرنين الميلاديَّيْن العاشر والثاني عشـــر، بما يُعرف بمنطقة الطراز الإســـلامي، وانطلاقاً مـــن هذه الإمـــارات أخذ الإسلامُ ينتشر ويكسب مؤيدين له وسط الأوورومو، حتى إذا ما جاء الإمـــام أحمد إبراهيم دخلت في بيعته قبائل كاملة.

وكان اعتنـــاق الأوورومـــو للإســـلام بطيئـــاً وتدريجيّـــاً، وقد كانوا على حذرٍ شـــديدٍ في أثناء احتكاكهم بالقبائل التي اعتنقت الإسلام منذ زمنٍ طويل، وقد اعتنق عددٌ من أورومو الجنوب الشرقيّ لهرر الإســـلامَ في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد فسّـــر بعضُ المؤرخين انتشار الإسلام وسط الأوورومـــو بأنه جزءٌ من عمليـــة الدفاع عن النفس ضدّ محـــاولات تنصيرهـــم وأمهرتهـــم، وأصبح الإســـلام جزءاً من أيديولوجية البقاء والدفاع عن الذات[٣]، وتجلّى هذا الأمـــر في عظم الابتلاءات التي تعرضوا لها من قِبل الآخرين.

(١) المرجع نفسه، ص (٢٥٢).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٦٤).

(٣) حسن مكي محمد أحمد (١٩٨٧): الأوورومـو (القـالا): دراسة تحليلية، دراسات إفريقية، العدد الثالث، أبريل، (٨٧ – ١٠٨)، ص ص (٩١ – ٩٢).

انفتح شعب الأوورومو على الأقطار العربية والإسلامية، وزادت فيه نسب التعليم، والإقبال على تعلّم العربية، والتدين المؤسّسي والشعبي

هذا، وتشـــير بعضُ المصادر التاريخية إلى أنّ بعض مناطق الأوورومـــو، والمناطق المجاورة لهم، ســـادت فيها إمارات حكمت بالشريعة الإسلامية، وازدهرت فـــي كنفها اللغة العربيـــة[٤]، وكانت كلّ منطقـــةٍ من مناطق الأوورومـــو وغيرها من مناطق إثيوبيا تشـــتهر بعددٍ معتبرٍ من العلماء، وبمؤلفات لهم في مختلف العلوم[٥]، لا مجال للوقوف عندها هنا، وكلّ ذلك يدلّ على مكانة اللغة العربية والثقافة العربية والإسلامية في إثيوبيا عموماً، وفي منطقة أوروميا خصوصاً.

يُفهـــم من هذا ومن غيره، مما تذكره المصادر التاريخية عن الهجرات من شبه جزيرة العرب إلى منطقة شـــرق إفريقيا وإثيوبيا (الحبشة) تحديداً لأغراضٍ مختلفة كالتجارة والاستيطان، أنّ منطقة إثيوبيا- بما فيها المنطقة التي يعيش فيها شـــعب الأورومو- كانت منطقة التقاء بين العرب والقبائل الإثيوبيـــة المختلفة قديماً وحديثـــاً، ليس مجرد التقاء فحســـب، وإنما اســـتطاع هؤلاء العرب أن يقيموا ممالك إســـلامية حفلـــت بتفاصيلها كتب

(٤) المرجع نفسه، ص (١٠٠).

(٥) انظر: محمد تاج الرحمن العروسي، مرجع سابق، وقد حفل بذكر عدد كبير من العلماء والشيوخ ومؤلفاتهم، ومناطق انتشارهم، في إثيوبيا.

التاريخ، وهذا كله أتاح لشعب الأورومو أن يحتك بالعرب مباشرة، ويأخذ عنهم، ويتأثر بلغتهم، وثقافتهم، وسنتناول بشيء من التفصيل جانباً من تأثر لغة الأورومو باللغة العربية لاحقاً.

أما حديثاً؛ فتوجد بمناطق الأورومو قبائل عربية يمنية، خصوصاً في منطقة جمة وهرر، إذ في هاتَيْن المنطقتين ما يمكن أن يُشار إليه بأنها ملامح عربية، مثل: طول الشعر، واللون (الفاتح)، والجمال البيّن في كثير من الفتيات[1]، وهذه ملامح يُمكن أن تلاحظ - أيضاً- عند بعض الإثيوبيين.

مهما يكن من أمر؛ فإنّ لعلاقة الاتصال المباشر بين متحدثي اللغة العربية (العرب)، ومتحدثي لغة الأورومو (الأورومو)، التي كان مسرحها أرض الأورومو (أوروميا)، تأثيراً مباشراً من العربية في الأورومو، إذ إنّ العربية أقرضت الأورومو ألفاظاً عديدة، خصوصاً في مجال الألفاظ الخاصّة بالدين الإسلامي، والتجارة.

والحقّ، فيما نرى، أنّ علاقة الاتصال المباشر بين اللغة العربية ولغة الأورومو تمثّل الآن أعلى مستوى للعلاقة بين اللغتَيْن؛ مقارنةً بمستوى علاقة الاشتراك في الأصول المذكورة سابقاً، وبمستوى علاقة الاتصال غير المباشر التي ستُذكر بعيد قليل، لذلك سيتم التفصيل في أحد مخرجات هذه العلاقة؛ تحت عنوان: الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو- كما سيأتي-.

ثالثاً: علاقة الاتصال غير المباشر بين اللغة العربية ولغة الأورومو:

يبدو لي أنّ ما تناولناه من تفاصيل تخصّ علاقة الاتصال المباشر بين متحدثي اللغة العربية (العرب)، وبين متحدثي لغة الأورومو (الأورومو)، تقف دليلاً على أنّ إمكانية علاقة الاتصال غير المباشر أقلّ درجةً ومقداراً في هذا المجال، خصوصاً في العصور القديمة التي كان فيها للعرب وجودٌ مؤثرٌ في إثيوبيا عموماً، وفي أرض الأورومو (أوروميا) خصوصاً.

أما في وقتنا الحالي؛ فيتاح لنا تصور علاقة اتصال غير مباشرة بين العربية والأورومو؛ لأنّ لغة الأورومو قد تتأثر بالعربية عن طريق التقاليد الأدبية العربية المختلفة في مظانها المتنوعة، أو عبر مصدرٍ آخر قد تمثله لغات إثيوبية مختلفة؛ كالأمهرية، أو لغات أوروبية؛ كالإنجليزية.

وعليه؛ بعد أن تضاءل الوجود العربي في إثيوبيا؛ فإنّ المستقبل كفيلٌ بخلق علاقة اتصال غير مباشر بين العربية والأورومو، ومن الصعوبة بمكان إعطاء أمثلة توضّح هذه العلاقة أو تصور طبيعتها وكيفيتها، ولكن يمكن استشرافها جنينيّاً بعد أن انفتح شعب الأورومو على الأقطار العربية والإسلامية، وزادت فيه نسب التعليم، والإقبال على تعلّم العربية، والتدين المؤسّسي والشعبي؛ انفتاحاً سيمنح الأورومو مزيداً من الاحتكاك بالتقاليد الأدبية المتنوعة للغة العربية.

الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو:

تبدو ظاهرة الاقتراض بين اللغات بأنواعها عملية اجتماعية في بعض مناحيها، وليست لغوية صرفة[2]، ونسبةً للفوارق الحضارية والثقافية الواضحة بين متحدثي اللغة العربية على امتداداتهم الجغرافية، ومتحدثي لغة الأورومو في مناطقهم

(١) مقابلة مع: آدم حسين (أوروميي)، حوالي ٣٣ عاماً، إثيوبيّ، طالب دراسات عليا، جامعة إفريقيا العالمية، تمت بمركز البحوث والدراسات الإفريقية بالجامعة، بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٧م.

(٢) لمزيد من المعلومات حول ظاهرة الاقتراض بين اللغات، انظر: كمال محمد جاه الله (٢٠٠٨): «الاقتراض بين اللغات مفهومه وأسبابه ومصادره وأضربه»، كتاب مؤتمر اللغة العربية وتحديات العصر، كلية دار العلوم جامعة القاهرة بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، ٤-٥ نوفمبر ٢٠٠٨م، ص ص (٥٢ - ٨١).

المختلفة، فقد اقترضت الثانية من الأولى عدداً من الألفاظ المتنوعة، وقد كانت الأسباب الرئيسة من وراء ذلك الاقتراض هي الأسباب العامّة المشتركة التي تصاحب كلّ لغتَيْن تتعايشان لفترات طويلة، وتكون إحداهما أكثر تفوّقاً من الأخرى.

واستناداً على ذلك؛ يمكن تصور أنّ أهمّ أسباب اقتراض لغة الأورومو من العربية ما يأتي:

١- الحاجة: وذلك بإيجاد ألفاظٍ لموضوعات ومفهومات جديدة؛ لم تكن في الغالب موجودة في لغة الأورومو، (وهذا في رأينا أهمّ الأسباب قاطبة).

٢- المكانة: ونعني مكانة اللغة العربية بما تحمله من ثقافة، ومن رمزية حضارية، ودينية، وثقافية، (وهذا من الأسباب المهمة).

٣- النزعة إلى التفوق: وذلك أنّ اللغة العربية لغة أمّة محسوبة في عداد الأمم التي يُنظر إليها بأنها جديرة بالتقليد.

٤- الإعجاب باللفظ الأجنبي: وذلك أنّ كثيراً من الألفاظ العربية لها جرسٌ أو معنى يعجب الآخرين.

هذا فيما يخصّ أسباب اقتراض لغة الأورومو من اللغة العربية، فكيف تمّ جمع هذه الألفاظ؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال المهمّ يمكن اختصارها في القول: بأنّ القائمة الأولية التي تمّ إعدادها للألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو، وهي قائمة ليس القصد منها الحصر لوضع قائمة نهائية، لهي نتيجة لعددٍ من المقابلات مع عينات مختارة بعناية، تمثّل عدداً من الطلاب الإثيوبيين من قبيلة الأورومو من مختلف مناطقهم، وهم يمثّلون فئات عمرية مختلفة تتحدث لغة الأورومو بوصفها اللغة الأمّ، وما يزالون يتحدثون هذه اللغة بطلاقة، ويحافظون على استخدامها. ويغلب على هؤلاء الطلاب أنهم طلابٌ في كليات جامعة إفريقيا العالمية المختلفة، أغلبهم حديثُ

الاتصال المباشر بين العربية ولغة الأورومو، في المجالات ذات الارتباط بالدين الإسلامي والتجارة والمنتجات العضوية وغيرها، يمثّل أعلى درجة للعلاقة بين اللغتين

عهد بالسودان، وبعضٌ منهم طلاب دراسات عليا في الجامعة نفسها، ولم تنقطع صلاتهم ببلدهم.

استطاع الباحث بعد عدة أشهر من المقابلات المتنوعة زماناً ومكاناً- في عام ٢٠٠٩م- أن يجمع عدداً مقدّراً من الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو[(١)]، وهذا العدد يمثّل قائمة غير نهائية في هذا المجال، لأنه في رأينا لا يعكس طبيعة العلاقة الحميمة التي جمعت متحدثي اللغتَيْن طوال فترة ممتدة لعدد من القرون.

كما استطاع الباحث، من خلال مقابلاته مع عددٍ منهم، أن يقف على أصوات لغة الأورومو، وذلك لمقابلتها ومقارنتها بأصوات العربية؛ لمعرفة مدى التكيّف الصوتي للألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو - ستُنشر- إن شاء الله- في بحثٍ لاحق.

مهما يكن من أمر؛ فإننا الآن أمام عددٍ من الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو، فما الحقول الدلالية التي تمثلها هذه الألفاظ، تمهيداً لمعرفة تكيّفها الصوتي في هذه اللغة؟

(١) من الذين تمّت مقابلات عديدة معهم: الطالب بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية: أمان غوداتا فاتو (٢١عاماً)، وهو أورومي يتحدث لهجة بالي-أرسي بوصفها اللغة الأمّ، بالإضافة إلى أنّ له اهتماماً خاصّاً بهذه اللغة، وأثر اللغة العربية عليها.

لقد غطت الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو، بنسبٍ متفاوتة، عدداً مقدّراً من الحقول الدلالية، لعلّ أهمها (مقرونة ببعض الأمثلة):

أ- ألفاظ الدين الإسلامي، مثل[1]:

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
الكافر	kaafir
الحرام	haraama
الكعبة	kaaba
الآخرة	aakira
الحمد	hamdi
البركة	baraka
الإيمان	ilmaan
الشر	shari
الخير	kairi

ب - ألفاظ التجارة، مثل:

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
ميزان	miizaan
فائدة	faida
تاجر	daldalla

ج - ألفاظ المنتجات العضوية، مثل:

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
الصابون	saamuna
السكر	shukaara

د - ألفاظ الأيام والشهور العربية، مثل:

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
السبت	sabti
الأحد	ahada
الثلاثاء	talada
الخميس	kamsa
محرم	muharam
صفر	safar

هـ - ألفاظ التعليم، مثل:

الكلمة العربية	الكلمة الأورومية
اللوح	lohi
الكتاب	Kitaab
العالم	aalim
الأدب	adab
المتعلم	mutaallima

إنّ ما تمّ استعراضه من حقولٍ دلاليةٍ يظلّ قائمة أولية، آملين أن لا يكون هناك تعسف في استنباط مسمّيات هذه الحقول، وهذه القائمة الأولية يُقصد بها فقط تسهيل دراسة الألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو، وقد رأينا في هذا المضمار التعليق على حقلَين مهمَّيْن، هما: حقل ألفاظ الدين الإسلامي، وحقل ألفاظ التجارة.

١- حقل ألفاظ الدين الإسلامي: يعدّ الحقل الخاصّ بألفاظ الدين الإسلامي أكثر الحقول الدلالية حظوة بالألفاظ المقترضة في لغة الأورومو، وهذا يتناسب مع ارتباط تاريخ اللغة العربية بانتشار الإسلام في إثيوبيا (وبخاصّة أوروميا)، كما يؤكد أنّ الإسلام هو محور الارتكاز للعلاقة بين اللغتين، فالدين الإسلامي بوصفه نظاماً روحيّاً جديداً على مجتمع الأورومو (في ذلك الوقت)، ورد إليه متكاملاً، ومصحوباً بأدواته التعبيرية، إذ كان الأوروميون وثنيين، وما كان يتوقع للغتهم أن تحتوي على ألفاظ تعبّر عن مفاهيم ومضامين هذا الدين الجديد.

ولعلّ السبب المباشر، في كثرة الألفاظ العربية التي تقع ضمن هذا الحقل في لغة الأورومو، يرجع

(١) للاطلاع على مزيدٍ من الألفاظ في هذا الحقل يرجى أن يُنظر في: آدن سامْ شيخ (٢٠٠٠): كتابة اللغة الأورومية (لهجة البوران) بالحرف العربي كمدخل لتعليم القراءة والكتابة، أطروحة ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، غير منشورة، ص ص (١٣ - ١٥).

إلـــى أنّ الأورومو اتصلوا بالإســـلام، كما أشـــرنا ســـابقاً، منذ توطيد أركانه في الأجزاء الساحلية لشـــمال إفريقيا بين القرنَيْن الميلاديَّيْن العاشـــر والثاني عشـــر، وما تلا ذلك من عقودٍ أصبح فيها للإســـلام مكانة عظيمة في تلـــك البقاع من قارة إفريقيا.

٢- حقل ألفاظ التجارة: أما فيما يتعلق بحقل ألفاظ التجـــارة؛ فمعروفٌ أنّ للعـــرب منذ القدم نشـــاطاً تجاريّاً مع شـــرق إفريقيا ومع الحبشـــة (إثيوبيا)، وبالتالي مع (أوروميا)، وقد توســـع هذا النشاط وازداد بمرور الزمن حتى بلغ منتهاه. وفي أيامنا الحاضرة ما تزال العقلية العربية تســـيطر على أهـــمّ الأســـواق التجارية في إثيوبيـــا، ولعلّ من أهم إفرازات ذلك تســـرّب عـــدد من الألفاظ التـــي تعبّر عن ذلك النشـــاط إلى عدد من اللغات الإفريقيـــة، وكان نصيب لغة الأورومو، كغيرها من اللغات، عدداً من الألفاظ التي ترتبط بهذا الحقل الحيوي.

ويُفهم من هـــذا ومن غيره، ممّـــا تقدمه لنا المصـــادر التاريخيـــة عن خصوصية الإســـلام والثقافة الإسلامية والتجارة التي يقوم بها العرب وما يزالون في أرض الأورومو (أروميا)، أنّ للإسلام والتجـــارة دوراً كبيراً في تغذية لغة الأورومو بعددٍ معتبـــر من الألفاظ التي تعبّر عن هذَيْن المجالَيْن الحيويَّيْن.

خلاصة:

نخلص مما سبق إلى الآتي:

١- أنّ علاقـــة اللغـــة العربية بلغـــة الأورومو يمكـــن تقســـيمها إلى ثلاثـــة مســـتويات: الأول: علاقة الاشـــتراك في الأصـــول، إذ تنتمي اللغتان إلى أســـرة اللغات الإفريقية الآســـيوية، وتختلفان في الأفـــرع، فالعربية تنتمي إلى الفرع الســـاميّ، والأورومـــو تنتمي إلى الفرع الكوشـــي، وهذا كفل لهمـــا أن تشـــتركا في بعـــض العناصـــر اللغوية.

والمســـتوى الثاني: علاقة الاتصال المباشر الذي تمّ بين العرب متحدثي العربية والأورومو متحدثي الأورومية، فـــي أرض الأورومو، وهـــذا النوع من الاتصال جعل لغة الأورومو تتأثر بصورة مباشـــرة باللغـــة العربيـــة وثقافتها، خصوصـــاً في مجال الحقول ذات الارتباط بالدين الإســـلامي والتجارة والمنتجات العضوية وغيرها، ويمثّل هذا المستوى أعلى درجة للعلاقة بين اللغتين مقارنة بالمستويَيْن (الأول الســـابق، والثالـــث اللاحق). والمســـتوى الثالث: علاقة الاتصال غير المباشر، وهو يعكس فترة تضاؤل الوجود العربي في أوروميا؛ وتأثر فيه الأورومو بالعربية عبـــر التقاليد الأدبية المختلفة، وليس عبر العرب مباشرة، وهو ما يمكن استشرافه في المستقبل القريب.

٢- أنّ الأســـباب الأساســـية التي جعلت لغة الأورومو تقتـــرض ألفاظاً من اللغـــة العربية هي الأســـباب العامّة نفســـها التي تصاحب كلّ لغتَيْن يحدث بينهما اتصالٌ عبر المتحدثين، وتتســـاكنان لفتـــراتٍ طويلة، وتكون إحداهمـــا أكثر تفوقاً من الأخرى، من حيث المكانـــة الدينية أو الحضارية أو الثقافية، وهذه الأسباب هي باختصار: الحاجة، والمكانة، والنزعـــة إلى التفوق، والإعجاب باللفظ الأجنبي.

٣- أنّ الحقـــول الدلاليـــة للألفـــاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو متنوعة، وتأتي بنســـبٍ متفاوتـــة، لعـــلّ أهمها: ألفاظ الدين الإســـلامي، وألفاظ التجارة، وألفاظ أيام الأســـبوع والشـــهور العربية.

٤- أنّ حقـــل ألفـــاظ الدين الإســـلامي أكثر الحقول الدلالية حظوةً بالألفاظ العربية المقترضة في لغة الأورومو، وهذا يتوافـــق مع ارتباط تاريخ اللغة العربية بانتشـــار الإسلام في إثيوبيا عموماً، وفي أوروميا خصوصاً، كما يؤكد أنّ الإســـلام هو حجر الزاوية للعلاقة بين اللغتَيْن ■